

الأصْلَاحُ النَّفْسِيّ لِلْفِرْدَا أَسَاسُ رِسْ إِنْشِقَاقِيَّةٍ وَصَلَاحِ أُمِّيَّةٍ

وَمَعَهُ نَقْدٌ وَتَوْضِيحٌ

فِي تَحْدِيدِ أَهْلِ الإِصْلَاحِ وَسَبَبِ تَفَرُّقِ الْأُمَّةِ

نَفْسِيَّةِ الشَّيْخِ الذَّكْوَرِ

أَبِي عَبْدِ الْمُعَزِّ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ فَرْكَوْسَ

أَسَازُ بَكْلِيَّةِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ الْفَرَّازِ

العدد



الإصلاح النفسي للفرد
أساس إنسانيته وصالح أمة

ومعه بقية وتوضيح

في تجديد أهل الإصلاح وسبب تفرق الأمة

حقوق الطبع وحقوق المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد
الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته
على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة
خطية من المؤلف

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ - ٢٠١١م

دار الموقع

دار الموقع للنشر والتوزيع - الجزائر العاصمة

البريد الإلكتروني: edition@ferkous.com

الموقع الرسمي للشيخ فركوس على الإنترنت: www.ferkous.com

سلسلة ترميم التراث

الأصْلَاحُ النَّفْسِيَّةُ لِلْفَتْرَةِ أَسَاسُ إِثْقَامَتِهَا وَصَلَاحُ أُمَّتِهَا

وَمَعَهُ نَقْدٌ وَتَوْضِيحٌ

فِي تَجْدِيدِ أَهْلِ الْإِصْلَاحِ وَسَبَبِ تَفْرِيقِ الْأُمَّةِ

لفضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد الله المعز محمد علي فركوس

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

[سورة يوسف]

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل: ١٢٥]

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ

٨ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا ﴿١﴾ [سورة النساء].

﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ وَقُولُوْا قَوْلًا سَدِيْدًا ﴿٧٠﴾﴾

يُصْلِحْ لَكُمْ اَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللّٰهَ
وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا ﴿٧١﴾ [سورة الاحزاب].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي
محمَّد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة،
وكلُّ بدعة ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

لقد كان استكتابي للكلمة الشهرية على الإنترنت
يفرضه واجبُ القيام بالدعوة إلى الله، الثابتة الأصول
في سُنَّةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وسُنَّةِ السلف
الصالح من بعده، الذين أظهروا حُجَجَ الإسلام، ونشروا

٩

الإصلاح النفسي للفرد أساسُ استقامته وصلاح أمته
محاسنه، ودفعوا عنه الشبهة بالحجة والبرهان، وحذروا
مما أفسد فيه من محدثات الأمور، وضلالات أهل البدع
والأهواء التي هي سبب كل شقاوة، وبالصبر واليقين
سلكوا سبيل الدعوة إلى الله على بصيرة مصداقاً لقوله
تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا
وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨)
[سورة يوسف]، وجسدوا دعوتهم بأسلوب الحكمة،
والموعظة الحسنة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

هذا، وقد عملت في محاولة لبلوغ هذا المرمى، وتحقيق
هذا المعنى، على تسطير ما يُترجى أن تحمله تلك الكلمات

﴿ ١٠ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

الشهرية من استنارة للعقول، وبيان مسالك الاتباع
وسبله، والتنزيه من الشرك ووجوهه. وقد رأيت من
المفيد - بعدما اجتمعت جملة منها - أن أضعها في رسائل
دعوية ضمن سلسلة سميتها ب: «توجيهات سلفية».

والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في السر والعلن،
وأن يعيذنا من فتنة القول والعمل، وأن ينصر دينه، ويعلي
كلمته، ويوفق القائمين على الدعوة إلى الله إلى ما فيه خير
دينهم، وصلاح أمتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله
على محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين،
وسلم تسليمًا.

أبو عبد المعز محمد علي فركوس
الجزائر في: ٢٠ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ
الموافق ل: ١٧ مايو ٢٠٠٦ م

الْأَصْلَاحُ النَّفْسِ لِلْفَرْدِ
أَسَاسُ إِشْقَاقِ أُمَّتِهِ وَصَلَاحِ أُمَّتِهِ

حاجة الأمة إلى انضواء أفرادها تحت لوائها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من
أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى
يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ أشدَّ ما تكون إليه حاجة الأمة اليوم هو انضواء
أفرادها تحت لوائها بحيث يمثل كل فردٍ منهم لبنة
قويّة صالحة، تشيّد بناء الأمة، وترسخ دعائمها، وتعلي
صرحها؛ لأنَّ فساد الأمة بفساد أفرادها، ومناطُ صلاح
الأمة بصلاح أبنائها، وقد أثنى الله تعالى على خير جيلٍ

﴿ ١٤ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

عرفته البشرية يحمل صفات لم تبلغها أمة لم تنعم بنعمة الإسلام، أتصف باستيعاب « لا إله إلا الله، محمد رسول الله » على الوجه الذي أراده الله، فلم تكن عندهم كلمة عابرة، وهم بعيدون عن مقتضاها وعن منهجها الشامل لكل مناحي الحياة، ولا قضية خفيفة الوزن يقولونها بألسنتهم وقلوبهم غافلة عنها، وسلوكهم الواقعي يخالف لها أتم المخالفة، وإنما عرفوها حق المعرفة وقدروها حق قدرها، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فكانوا أفرادًا متجانسين أهل معتقد واحد، يسرون على مسار واحد لا عوج فيه كما أمرهم ربهم سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته ﴿١٥﴾

تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥٣]﴾،
ويؤلفون مجتمعاً مؤمناً، له شخصيته الفذة القوية، وهم
مُتَكَتِّلُونَ على كلمة التوحيد الخالص استيعاباً وسلوكاً
وبصدق وأمانة، فتَحَقَّقَتْ بعقيدة التوحيد أَوَّلُ وَحْدَةٍ
في تاريخ البشرية قائمة على تجريد العبادة لله وحده
بجميع أنواعها، وتجريد متابعة رسول الهدى محمد صلى
الله عليه وآله وسلم، والاكتفاء به إماماً وقُدُوةً، والعمل
بُسُئْتِهِ والدعوة إليها، وتحذير الناس من الابتداع في دين
الله تعالى، فكان أن ورث هذا التجريد وتلك المتابعة
الصادقة ثمراتٍ حسنة ارتفعوا بها عن الحضيض،
واستحقُّوا التمكين في الأرض، فظهر على أيديهم فتح
من الله لا مثيل له في التاريخ من قبل ولا من بعد، حيث

﴿ ١٦ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

امتد الإسلام - في خلال نصف قرن من الزمان - من

المحيط إلى ما وراء الهند، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ

الَّذِي آرَتَهُمْ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي

لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].



عناية الإسلام بالعنصر النفسي للفرد

ومن خلال مقومات هذا الجيل وثوابته الأصيلة،
تَبَلَّوَرَتْ عنايةُ الإسلام بالعنصر النفسي للفرد؛ لأنَّ
الإصلاح النفسي للفرد هو القاعدةُ الأساسيةُ لصلاحه
وصلاح أُمته، وهو الدَّعامةُ الأولى لاستقامته وسعادته
في الدارين، إذ إنَّ نفسَ الفرد مرَّكبةٌ - من حيث القُوَّةُ
والغَلَبَةُ - من شَقَيْن:

• شَقُّ فطري إيجابيّ أصيل، جُبِلَتْ فِطْرَتُهُ على مَحَبَّةِ
الحقِّ والخير، فهي مستعدةٌ لإدراك معرفة الحقائق، وتسعد

بإدراكها، وتأسى على مخالفتها، ولولا المعارض لبقيت على حالتها من السلامة والاستقامة، فهي مقتضية لدين الإسلام، ومستلزمة للإقرار بالخالق سبحانه ومحبيه وإخلاص الدين له، قال ابن تيمية رحمه الله: «لقد أودع الله عز وجل في قلوب العباد من المعارف الفطرية الضرورية ما يفرقون به بين الحق والباطل، وما يجعلها مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من هذا الاستعداد والتمكن لما أفاد النظر والاستدلال ولا البيان، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا هذا الاستعداد لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوة تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق

والباطل أعظم من ذلك»^(١).

• وشق سلبى عارضٍ على الفطرة التي قد تضعف ويخفُّ نورها فيعرض لها ما يغيِّرها ويحوِّلها إلى ملل الكفر والشرك بسبب مؤثرات خارجية كالطبائع الشريرة، والبيئة السيئة التي يتربَّى فيها الإنسان منذ صغره، ففي الحديث: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجَّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَذَعَاءَ»^(٢)، أو بسبب نزغات شيطانية

(١) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٥/٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الجنائز» (٣/٢١٩) باب إذا أسلم الصبيُّ

فمات هل يُصلَّى عليه؟ ومسلم في «القدر» (١٦/٢٠٧) باب

معنى: كلُّ مولود يولد على الفطرة، وأبو داود في «السنة» (٥/٨٦)

باب في ذراري المشركين من حديث أبي هريرة .

طائفة تميل به عن الجادة وتنحرف به عن سواء السبيل،
 وإلى هذا المعنى يشير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله
 فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «إِنِّي خَلَقْتُ
 عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ
 عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ
 يُشِرُّوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»^(١)، فارتبط مصير الإنسان
 في دنياه وآخرته برُجْحَانِ أَحَدِ الشَّقَيْنِ: شِقِّ الْخَيْرِ وَالتَّقْوَى،
 أَوْ شِقِّ الشَّرِّ وَالفجور، فمن طهر نفسه بطاعة الله، وأصلحها
 من الأخلاق الدنيئة والرذائل فقد أفلح وربح، ومن

(١) أخرجه مسلم في «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» (١٧ / ١٩٦)

باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار،

وأحمد: (١٧٩٤) من حديث عياض بن حمار المجاشعي .

الإصلاحُ النفسيُّ للفرد أساسُ استقامتهُ وصَلاحِ أُمَّتهُ ﴿٢١﴾

أَخْمَلَهَا وَدَسَّاهَا حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِي وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ فَقَدْ

خَابَ وَخَسِرَ، وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ

وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

زَكَّيْنَاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الشمس].

لِذَلِكَ أَرْسَلَ اللَّهُ الرَّسْلَ لِتَذَكُّرِ النَّفْسِ بِوَجُوبِ

الْمَحَافِظَةِ عَلَى طَهَارَةِ فِطْرَتِهَا الْمُتَجَلِّيةِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمُحِبَّتِهِ

وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَإِيثَارِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَتُنْبِيْهِهَا عَلَيْهِ، مَعَ

التَّفْصِيلِ وَالْبَيَانِ، وَتَعَرُّفِهَا الْأَسْبَابَ الْمَعَارِضَةَ لِمَوْجِبِ

الْفِطْرَةِ الْمَانِعَةِ مِنْ اقْتِفَاءِ أَثَرِهَا، كَمَا حَذَّرَتْ مِنَ الْاسْتِسْلَامِ

لِلنَّزَعَاتِ الشَّيْطَانِيَةِ وَالطَّبَائِعِ الشَّرِّيرَةِ الطَّارِئَةِ عَلَى النَّفْسِ

الَّتِي تُضْعِفُ مِنْ عِزِّهَا، وَتَرْمِي بِهَا فِي بُؤْرِ الضَّلَالِ

وَسَاحَاتِ الْهَوَى، وَتَنْحَرِفُ بِهَا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ فَدَعَتْ

﴿ ٢٢ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

إلى تخلص الفطرة من كل ما قد يُعَكِّرُ صفاءها ويذهب
نقاءها مما يلبسها من الشوائب والعوالق المندّسة قال تعالى:
﴿ فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ ذَلِكَ أَلَدِّبُ الْقِيَمُ وَلَكِنْ
أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم].

قال ابن القيم رحمه الله: «وهكذا شأن الشرائع التي
جاءت بها الرسل، فإنها أمرٌ بمعروفٍ، ونهيٌ عن منكرٍ،
وإباحةٌ طيّبٍ، وتحريمٌ خبيثٍ، وأمرٌ بعدلٍ، ونهيٌ عن
ظلمٍ، وهذا كله مركوزٌ في الفطرة، وكما أن تفصيله وتبيينه
موقوفٌ على الرسل»^(١).

(١) «شفاء العليل» لابن القيم (٢/ ٨٢١).

ميدان دعوة المصلحين

وميدان الإصلاح يدعو القائمين به إلى تطهير الفطرة من الأخلاط والشوائب مما يضادُّ التوحيدَ الخالص، والتحذير من دعاوى الجاهلية ومظاهر الشرك وأشكال الخُرَافَةِ وأنماطِ البِدْع، ومحاربة كلِّ أسباب الانحراف عن دين الفطرة بإظهار الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوسيلة العلم الشرعيِّ الصحيح الذي هو مادة الإسلام وموضوعه، وبمنهج مستمدٍّ من الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

٢٥

كما أنَّ ميدان الإصلاح ينادي أصحابه إلى ربط
النفوس بشريعة الله الشاملة لجميع ميادين الحياة فيما
يحتاجه الناس لصلاح دنياهم وآخرتهم، وغرس الأخلاق
الفاضلة ومبادئ البرِّ والإحسان والتعاون على الحقِّ
والخير بالأسلوب الدَّعَوِيَّ المُنبِئُ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا
إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

كما أنَّ ميدان الإصلاح يتطلَّب من القائمين عليه من
دعاة الحقِّ أن يكونوا على بصيرةٍ بالمجال الدعوي: من
علمٍ دقيقٍ بالشرع ومقاصده العليا، ومراميه النبيلة، مع
الصِّلة الوثيقة بالله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى
اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [سورة يوسف]، وأن يبتعدوا في مسيرتهم الدعوية عن الجفوة والغلظة وسوء الأدب والمنقلب، فالرفق في الأسلوب من أبرز خصائص دعوة الحق، وأن يتنزهوا عن الأغراض الدنيئة والاعتراض بالدنيا؛ لأن الانشغال بها والتلهي عن الآخرة أول طريق الضياع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة المنافقون]، وأن يلتزموا التوكل على الله والتحلي بالصبر على دعوتهم إلى الخير والرشد والسؤدد، ويعتبروا بها واجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كل أشكال الصدود والفجور، وكل ألوان الكنود والجحود، فصبر عليها وصابر ورابط حتى

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته ﴿٢٧﴾

أتم الله دعوته، وانتشرت في الآفاق.

إِنَّ صَبْرَ الدَّعَاةِ الْمَصْلِحِينَ عَلَى مَا يَصِيبُهُمْ هُوَ مِنْ

عِزَائِمِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّهُ صَبْرٌ عَلَى اسْتِكْبَارِ الْجَاهِلِينَ، وَجَفْوَةِ

الْعَصَاةِ، وَعَنْتِ الْمَدْعُودِينَ، وَهُوَ مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ الصَّلَاحِ

الْمُتَّقِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَنُوكِلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ

هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة إبراهيم]، كما هو من صفات

الْأَئِمَّةِ الْمُقْتَدِي بِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة السجدة].

هذا، وإذا تحققت الدَّعَاةُ الْأُولَى لِصَلَاحِ الْفَرْدِ

بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ فَقَدْ اسْتَقَامَتْ لِبَنَةِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ تَنْظِيمٌ

﴿ ٢٨ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

إلى جانبها لبنات قوية صالحة يُشِيدُ بها صَرْحُ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ،
كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً، تَقَرُّ بها أَعْيُنُ
الموَحِّدين في تماسكها وعِزَّتِها وتمكينها وهَيْمَتِهَا، وتحتلُّ
صدارةَ المجتمعاتِ على مدى الزمان وفي كلِّ الأحوال،
قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء].

قال الشيخ العلامة ابن باديس رحمته الله: «فصلاح النفس
هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع،
والعناية الشرعية متوجَّهةٌ كُلُّهَا إلى إصلاح النفوس؛
إمَّا مباشرةً وإمَّا بواسطة، فما مِنْ شَيْءٍ مِمَّا شَرَعَهُ اللهُ تعالى
لعبادِهِ من الحقِّ والخيرِ والعدلِ والإحسانِ، إلَّا وهو
راجعٌ عليها بالصلاح، وما مِنْ شَيْءٍ نَهَى اللهُ تعالى عنه

== (٢٩) == ۞ الإصلاحُ النفسيُّ للفردِ أساسُ استقامتِهِ وصَلاحِ أُمَّتِهِ ۞

من الباطلِ والشرِّ والظُّلمِ والسُّوءِ، إلَّا وهو عائدٌ عليها
بالفساد؛ فتكميلُ النَّفسِ الإنسانيَّةِ هو أعظمُ المقصودِ
من إنزالِ الكتبِ وإرسالِ الرُّسلِ، وشرعِ الشَّرَائِعِ^(١).

نسألُ اللهَ تعالى أن يُصلِّحَ أَمْرَ هذه الأُمَّة كما أصلح
أَمْرَ أَوَّلِهَا، وأن يفتحَ علينا بالاعتصام بحبله المتين، وأن
يجمعَ كلمتَنَا على التقوى والدين، وأن يهبَ لنا من لدنه
رحمةً وعلماً ورشداً، وأن يُوفِّقَ القائمين على الإصلاح
في دعوتهم، ويُسَدِّدَ خطاهم، ويجمعَهم على التعاون
على البرِّ والتقوى والتواصي بالحقِّ والصبر، واللهُ من
وراء القُصْدِ وهو يهدي السبيلَ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ

(١) «ابن باديس: حياته وآثاره» (١/٢٣٣).

﴿ ٣٠ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين،
وسلم تسليمًا.

الجزائر في: ١٩ شعبان ١٤٢٧ هـ

الموافق ل: ١١ سبتمبر ٢٠٠٦ م



نَقْدٌ وَتَوْضِيحٌ

فِي تَحْدِيدِ أَهْلِ الْإِصْلَاحِ
وَسَبَبِ تَفْرِقِ الْأُمَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من
أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى
يوم الدين، أما بعد:

فعلى إثر نشر مقالة «الإصلاح النفسي للفرد أساس
استقامته وصلاح أمته» ووجه إلى انتقاد من شخصية
يائسة من وحدة الأمة واجتماعها، مختوم بطابع التردد
والتساؤل في شبهة تحديد أهل الإصلاح مع تبأين
مناهجهم وعقائدهم، ثم عرج على سبب تفرق الأمة

﴿ ٣٤ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

وتشبهها، ونسبها ظلماً إلى من يحملون لواء التوحيد قولاً
وعملاً ودعوة، وتناول على أهل العلم الربانيين بالتنقيص
واللّمز، وتجاسر على فتاويهم المبنية على العلم والبصيرة
بالابتذال والامتهان.

وقد رأيت من الإنصاف أن أضع نصّ انتقاده
للعيان، من غير تصرّف أو نقصان، ثم أعقبه بردّ أخويّ
سالم من الشنآن، وبأسلوب الموعظة والحكمة والبرهان،
قصد توضيح مفاهيم خاطئة سرّت في الأذهان، وردّ دواها
على اللسان، وسلکوا بها طرق الهوى والردى، وسبيل
الغواية والعمى، والله المستعان.

وهذا نصّ انتقاده:

« السلام عليكم ورحمة الله وبعد،

الإصلاح النفسي للفرد أساسُ استقامته وصلاح أمته ﴿ ٣٥ ﴾

أعزكم الله وحفظكم من كل مكروه آمين.

اعلموا أستاذي الجليل أني أحبكم فيما يحب المؤمن

أخاه المؤمن.

لقد اطلعتُ على الكلمة الشهرية التي تؤكّدون في

ثناياها أن صلاح الأمة يكون بصلاح أفرادها، وكأنكم

تبنّون النظرية الغشتالتية (Gueshtalt-théorie) الألمانية،

وهذا ما أراه غير مناسب في قضية إصلاح الأمة الإسلامية.

فلو سلّمنا فرضاً أن صلاح الأفراد يؤدّي إلى صلاح

الأمة، فهذا يعني أننا نتطرّق للنتيجة دون تقديم منهجية

لبلوغ الهدف، ومن ثمّ السؤال: من يقوم بإصلاح الفرد؟

سيكون الجواب بكلّ ارتجال: العلماء طبعاً. والسؤال

الذي يليه كيف يستمع الفرد إلى علمائه وهم متفرّقون

﴿ ٣٦ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

ولم يستطيعوا تحديد الأولويات. دماء المسلمين تُسفك، وأعراضهم تُستباح، ويُهَان أعزُّ ما يُحِبُّون، وعلمائونا في غير ذلك يُفتون: هذا يفتي في الحيض وذاك في النفاس والآخر في جواز قتل النمل والذباب من عدمه. بل ذهب بعضهم من علماء البلاط الذين ينتسبون إلى الوهابية، إلى القول بأنَّ الله سخر أمريكا للدفاع عن المملكة لإضفاء الشرعية على تدنيس البقاع الشريفة من طرف حفدة القردة والخنازير.

أستسمحكم سيدي على شرود مشاعري وضعفي على مقاومة ثورانها، إنه غضبٌ في سبيل الله وليس إلَّا. وسوف تكون لي اتصالاتٌ أخرى لاحقًا إذا ما لم أكن قد أزعجتكم.

الإصلاح النفسي للفرد أساسُ استقامته وصلاح أُمته ﴿ ٣٧ ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم في الله. من الرغبة-الجزائر العاصمة».

* فأقول - وبالله التوفيق وعليه التكلان :-

لا يخفى على مُتَبَصِّرٍ بِالْفِرْقِ والمناهج الدَّعْوِيَّةِ أَنَّ
أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعةِ يَتَفَقَّهونَ على الاستدلال بالكتاب
والسُّنَّةِ في كافَّةِ أمورهم وجميع مسائل وقضايا الاعتقاد
والتشريع والسلوك، ويسترشدون بفهم السلف الصالح
لنصوص القرآن والسُّنَّةِ، من الصحابة والتابعين ومن
التزم بمنهجهم واقتفى أثرهم. وموضوعُ مقالة «الإصلاح
النفسي للفرد أساسُ استقامته وصلاح أُمته» جاءت وفق
هذا المعنى من الاختصار في مصدر التلقِّي على الاستدلال
بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، ذلك النَّبْعُ

﴿ ٣٨ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

الصافي الذي نَهَلَ منه السلف عقائدهم وتصوراتهم،
واستقروا عباداتهم ومعاملاتهم، وسلوكهم وأخلاقهم،
بل هم في منأى عما ألُتزم به أهل الأهواء والبدع من جعل
مصدر التلقي العقل الذي أفسدته ترهات الفلاسفة،
وخزعبلات المناطق وتمحلات المتكلمين، فكيف يلجأ
أهل الإيمان إلى الاستناد إلى نظريات فلسفية غريبة،
وتبني أفكارها؟! والله تعالى أتم هذا الدين فلا ينقصه،
ورضيه فلا يسخطه أبداً، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾
[سورة النحل]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وَأَيْمُ

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته ﴿ ٣٩ ﴾

الله لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ^(١)،
وقد حفظ الله تعالى هذا الدين، وصانه من الضياع، وهياً
له من الأسباب والعوامل التي يسرت نقله وبقائه، قال
تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة
الحجر]، وقبض الله تعالى لهذه الأمة رجالاً من أهل
السُّنَّةِ والجماعة حفظ بهم ذِكْرَهُ، وصان رسالته، فلم
يتركوا ساعةً من ليلٍ أو نهارٍ إلا أمضوها بالإيمان والعلم
والاستنباط، وملؤوا بعلومهم ومصنَّفاتهم شتى الفنون

(١) أخرجه ابن ماجه في «المقدمة» باب أتباع سنَّة رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم: (٥)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، والحديث
حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٨٨)، وفي «صحيح
الجامع» (٩).

﴿٤٠﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

ومختلف المعارف من قواعد مصطلح الحديث وأصول الدين والفقه وقواعد اللغة والتفسير وغيرها، حتى وُصفوا بنقل الدين وحفظه، وحمل الشريعة، ودعاة الدعوة، وأركان الرسالة التي وصلتنا كاملة غير منقوصة كما أنزلها الله سبحانه لا اعوجاج فيها ولا انحراف، واستندت دعوتهم إلى الله تعالى وتبليغ الرسالة - في تقرير مشروعيته - إلى وجوب موافقتها للنصوص الشرعية العامة أو الخاصة أو لقواعد شرعية كلية، وعلى منهجهم هذا يتم الإصلاح النفسي للفرد لكونه اللبنة الأولى للأمة وذلك بالاستدلال على ما فُطرت عليه النفوس من الإيمان بالمشاهد المحسوس، وتطهير عقيدته من كل ما يدنسها للمحافظة عليها سالمة على الفطرة

❧ الإصْلَاحُ النَّفْسِيُّ لِلْفَرْدِ أَسَاسُ اسْتِقَامَتِهِ وَصَلَاحِ أُمَّتِهِ ❧ (٤١) ❧

التي فَطَرَ اللهُ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَتَصْحِيحُ عِبَادَتِهِ وَمَعَامَلَاتِهِ
بِالتَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادِ وَالدَّعْوَةِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ، مَعَ تَقْرِيرِ
الْحُجَجِ الصَّحِيحَةِ وَإِبْطَالِ الشُّبُهَةِ الْفَاسِدَةِ بِمَا يَشْفِي وَيَكْفِي،
فَكَانُوا مِثْلَ مَا أَمَرَ بِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّينَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [سورة آل
عمران]، كَيْفَ لَا ؟! وَهَذَا الْمَنْهَجُ قَائِمٌ عَلَى الصَّحِيحِ
الْمَنْقُولِ الثَّابِتِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَثَارِ السَّلَفِيَّةِ الْوَارِدَةِ
عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى،
وَالَّذِينَ سَلَكَوا طَرِيقَهُمْ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
« خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »^(١)،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الشَّهَادَاتِ» بَابِ لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرِ
إِذَا أَشْهَدَ (٢٥٠٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بَابِ فَضْلٍ =

﴿ ٤٢ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

وقال عليه الصلاة والسلام: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »^(١)، فسييل المؤمنون هو الالتزام بالكتاب والسنة من غير تقديم عليهما، والعمل بهما والدعوة إليهما، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

= الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين ... (٦٤٧٢)، والترمذي في «المناقب» باب ما جاء في فضل من رأى النبي وصحبه (٣٨٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٢٨)، وأحمد (٥٣٨٣)، والبخاري في «مسنده» (١٧٧٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم في «الإمارة» باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.. (٤٩٢٠)، والترمذي في «الفتن» باب ما جاء في الأئمة المضللين (٢٢٢٩)، وأحمد (٢١٨٨٩)، وسعيد ابن منصور في «سننه» (٢٣٧٢)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته

٤٣

بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَرَتَّبَعُوا سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلِهِ مَا
تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [سورة
النساء]، فهؤلاء هم أمة الإجابة الذين عناهم النبي صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ
وَسَبْعِينَ مِלَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١)، فالفرقة
الناجية والطائفة المنصورة كما جاء في الحديثين إنما هي
المتمسكة بالشرعية اعتقادًا وقولًا وعملاً، ومن بلغ منهم

(١) أخرجه الترمذي في «الإيمان» باب ما جاء في افتراق هذه الأمة

(٢٦٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. قال العراقي في

«تخريج الإحياء» (٢٨٤ / ٣) «أسانيد جواد»، والحديث حسنه

الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

﴿ ٤٤ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

درجة الفتيا في الدين فإنه يفتي في الحيض والنفس و قتل
النملة وإعفاء اللحية وتقصير الثوب والجلباب والجهاد
وسائر العبادات والمعاملات، إذ كلُّها من مسائل الدين
والإيمان من الحلال والحرام ومسائل الاعتقاد وغيرها،
والحمد لله ليس فيها لبٌ وقشورٌ، فكلُّ ما جاء به الإسلام
فهو لبابٌ، فهم لا يهدرون من الشرع شيئاً ولا يهونون من
السُّنة مهما كانت، كما هي دعاوى الذين فرَّقوا دينهم ولم
يعتصموا بحبل الله ولم يمشلوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا

تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣٦) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ﴿٣٧﴾ [سورة
الروم]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥)

❧ الإصلاَحُ النفسِيُّ للفرد أساسُ استقامتِهِ وصلاَحُ أُمَّتِهِ ❧ (٤٥) ❧

[سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام]، فكلُّ ما

جاء به الوحي حقٌّ وكلُّه لباب، ولا يصدر من الساخر

من السنن ومحبيها إلا الكذب والبهتان، قال تعالى:

﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا

﴾ [سورة الكهف]، فكيف نأخذ عن العلماء مسائل

عينية خاصة، ونأخذ عن الجهلة المسائل المصيرية العامة؟!

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۖ ؟

إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعة السائرين على منهج السلف

الصالح غيرُ مختلفين، وآمالهم وآلامهم واحدةٌ نابعةٌ من

عقيدتهم التي هي مبدأ دعوتهم، يركّزون على إخلاص

﴿ ٤٦ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

العبادة لله تعالى، والتحذير من الشرك وأسبابه ووسائله
المؤدية إليه بُغية إصلاح عقائد المسلمين وإزالة عوامل
الانحرافات الاعتقادية والسلوكية المتفشية بينهم، تجتمع
كلمتهم وتتوحد صفوفهم تحت راية التوحيد، إذ مبنى
التضامن الإسلامي لا يتم إلا على عقيدة التوحيد، وهو
مبدأ الانطلاق، مع التركيز على الإخلاص ومتابعة النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إذ لا وحدة إلا بالتوحيد، ولا
اجتماع إلا بالتابع، وعلى ضوئها يفهمون الواقع ويهتمون
بقضايا الأمة المصيرية، وعقيدتهم جازمة بأن مصيرهم
المستقبلي بيد الله تعالى، وقد تكفل به إذا ما حققنا التغيير
في أنفسنا على وفق ما أمر الله به ورسوله ونهى عنه وزجر؛
لأنَّ الجزاء من جنس العمل، وحسبهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته ﴿ ٤٧ ﴾

اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿ [الرعد: ١١]،

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾

[سورة محمد]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا

تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ

وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى

تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(١)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«وَاللَّهِ لَيُثَبِّتَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مَا بَيْنَ

(١) أخرجه أبو داود في «الإجارة» باب في النهي عن العينة (٣٤٦٢)،

وأحمد (٤٩٨٧)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٥٦٥٩)،

والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٨٤٤)، والطبراني في «المعجم

الكبير» (١٣٤١٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. والحديث

صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١).

﴿ ٤٨ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

صَنَعَاءَ إِلَى حَضَرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ،
وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

أما أمة الدعوة فثنتان وسبعون فرقة يرجع سبب
تفرقها إلى فساد الاعتقاد نتيجة البعد عن الكتاب والسنة،
وما كان عليه سلف الأمة من اعتقاد صحيح وإخلاص
ومتابعة، بخلاف أهل السنة فهي الفرقة الوحيدة التي
استنتت بسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والتزمت
ما كان عليه هو وأصحابه، وأعني بالمصلحين الذين

(١) أخرجه البخاري في «الإكراه» باب من اختار الضرب والقتل

والهوان على الكفر (٦٥٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٩٨)،

وأحمد في «مسنده» (٢٠٥٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٦٢ / ٤)،

من حديث خباب بن الارت .

الإصلاحُ النفسيُّ للفرد أساسُ استقامته وصَلاحِ أُمَّته **﴿ ٤٩ ﴾**

يُصلحون نفسية الأفراد، وإنما هم أولئك الذين التزموا هذا المنهج الرباني في الدعوة إلى الله تعالى بالتخلية والتحلية والتطهير والإصلاح، فإنَّهم « الَّذِينَ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ »^(١) كما جاء في السُّنَّة، وكلُّ دعوة لا تنطلق من هذا المبدأ فهي دعوةٌ يكسوها الضلال والإضلال، ومحكومٌ عليها بالفشل والهوان عاجلاً أو آجلاً.

أمَّا لفظة «الوهابية» فهي من إطلاق خصوم دعوة الحقِّ من أهل الأهواء والبدع يريدون بذلك نبزَ الشيخ

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢١٩)، من حديث سهل بن

سعيد رضي الله عنه، وأخرجه أبو عمرو الداني في «الفتن» (١/٢٥)،

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وصحَّحه الألباني «السلسلة

الصحيحة» (٣/٢٦٧).

﴿٥٠﴾ الإصلاحُ النفسيُّ للفرد أساسُ استقامته وصَلاحِ أمته ۝

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ وَالتَّقْصُصُ مِنْ دَعْوَتِهِ الْإِصْلَاحِيَّةِ إِلَى تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ مِنَ الشَّرَكِيَّاتِ، وَنَبْذِ جَمِيعِ السَّبِيلِ إِلَّا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَا دَعْوَتُهُ رَحِمَهُ اللهُ إِلَّا اِمْتِدَادُ لِدَعْوَةِ الْمُتَّبِعِينَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الَّتِي لَا تَخْرُجُ عَنْ أَصُولِهِمْ وَلَا عَنْ مَسْلُكِهِمْ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [سورة يوسف]، وَقَدْ كَانَتْ دَعْوَتُهُ وَدَعْوَةُ أُمَّةِ الْهُدَى وَالْدِّينِ قَائِمَةً عَلَى مُحَارَبَةِ الْبِدْعِ وَالتَّعَصُّبِ الْمَذْهَبِيِّ وَالتَّفَرُّقِ، وَعَلَى مَنَعِ وَقُوعِ الْفِتَنِ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ وَالْإِنْتِصَارِ لَهَا بِالْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْأَرَاءِ

== (٥١) == ۞ الإصلاحُ النفسيُّ للفردِ أساسُ استقامتِهِ وصَلاحِ أُمَّتِهِ ۞

الفاَسدة، وترك ما صحَّ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ من السُّنن والآثار، كما حاربت دعوته تَنْزِيل الإمام
المتبوع في أتباعه مَنْزِلَةَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
في أُمَّتِهِ، والإِعراض عن الوحي والاستغناء عنه بأقوال
الرجال، فمثُلَ هذا الالتزام بمذهبٍ واحدٍ اتَّخَذَ سَبِيلًا
لجعل المذهب دعوةً يُدعى إليها يوالى ويعادى عليها،
الأمر الذي أدَّى إلى الخروج عن جماعة المسلمين، وتفريق
صَفِّهِمْ، وتشَتِيتِ وحدتهم، وقد حصل بسبب ذلك
تسليطُ الأعداء عليهم واستحلال بيضتهم، فأهل السُّنَّة
والجماعة إنما يدعون إلى التمسُّك بوصيَّة رسول الله صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المتمثلة في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة
وما اتَّفقت عليه الأُمَّة، فهذه أصولُ معصومةٌ دون ما

﴿ ٥٢ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

سواها، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ
فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا، أَوْ عَمِلْتُمْ
بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ
الْحَوْضَ»^(١)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَعَلَيْكُمْ
بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِدِ»^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣١٩)، والبيهقي في «السنن

الكبرى» (٢٠٩١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن عبد

البر في «التمهيد» (٣٣١ / ٢٤): «وهذا أيضًا محفوظٌ معروفٌ

مشهورٌ عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرةً يكاد يستغني بها

عن الإسناد». وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنة» باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي

في «العلم» باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، =

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته

٥٣

إِنَّ اسْتِصْغَارَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالتَّنْقِصَ مِنْ
قَدْرِهِمْ بِنِزَاهِم «بِالْوَهَّابِيَّةِ» تَارَةً، وَبِ«عُلَمَاءِ الْبَلَاطِ» تَارَةً،
وَبِ«الْحَشْوِيَّةِ» تَارَةً، وَبِ«أَصْحَابِ حَوَاشٍ وَفُرُوعٍ» تَارَةً،
وَبِ«عُلَمَاءِ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ» تَارَةً، وَبِ«جَهْلَةِ فَهْمِ الْوَقَائِعِ»
تَارَةً، وَبِ«تَلَفِيقِ أَتْبَاعِ ذَنْبِ بَغْلَةِ السُّلْطَانِ» تَارَةً،
وَبِ«الْعُمَلَاءِ» تَارَةً، وَبِ«عُلَمَاءِ السُّلْطَانِ»، مَا هِيَ إِلَّا
سُنَّةُ الْمُبْطِلِينَ الطَّاعِنِينَ فِي أَهْلِ السُّنَّةِ السَّلَفِيِّينَ، وَلَا تَزَالُ

= وابن ماجه في «المقدمة» باب أتباع سُنَّةِ الخلفاء الراشدين (٤٢)،
والدارمي في «سننه» (٩٥)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٩)،
وأحمد (١٦٦٢٩)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. والحديث
حسنه البغوي في «شرح السُنَّة» (١/١٨١)، وصحَّحه ابن الملقن
في «البدر المنير» (٩/٥٨٢)، والألباني في «صحيح الجامع»
(٢٥٤٩)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٩٣٧).

﴿٥٤﴾ الإصلاحُ النفسيُّ للفرد أساسُ استقامته وصَلاحِ أمته ۝

سلسلة الفساد متَّصلةٌ لا تنقطع يجترُّها المرضى بفساد الاعتقاد، يطلقون عباراتهم الفجَّة في حقِّ أهل السُّنة والجماعة، ويلصقون التهم الكاذبة بأهل الهدى والبصيرة، لإبعاد الناس عن دعوتهم، وتنفيرهم عنها وصدِّهم عمَّا دَعَوْا إليه، والنظر إليهم بعين الاحتقار والسخط والاستصغار، وهذا ليس بغريبٍ ولا بعيدٍ على أهل الباطل في التجاسر على العلماء وما يحملونه من علمٍ ودينٍ باللمز والغمز والتنقُّص، فقد طُعِن في النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم بألقابٍ كاذبةٍ ووُصِف بأوصافٍ خاطئةٍ، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ

إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ

﴿٥٣﴾ [سورة الذاريات]، وقد جاء هذا الخلق الذميم

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته ٥٥

على لسان رجلٍ من الخوارج في قوله للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ: «اغْدِلْ»^(١)، وقال آخَرُ مِنْهُمْ لعثمان رضي الله عنه
- عندما دخل عليه ليقتله -: «نعثل»^(٢). قال: الشاطبي:

(١) أخرجه البخاري في «أبواب الخمس» باب ومن الدليل على أن
الخمس لنوائب المسلمين (٢٩٦٩)، ومسلم في «الزكاة» باب
ذكر الخوارج وصفاتهم (٢٤٤٩)، وابن ماجه في «المقدمة» باب
في ذكر الخوارج (١٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٨١٩)،
وأحمد (١٤٤٠٥)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن الجعد في «مسنده» (٢٢٣٩)، وابن سعد في «الطبقات
الكبرى» (٥٨/٣)، من حديث كنانة مولى صفية قال: «رأيت
قاتل عثمان في الدار رجلاً أسود من أهل مصر يقال له: جبلة
باسطٌ يديه - أو قال: رافعٌ يديه - يقول: أنا قاتل نعثل».

قال ابن الأثير في «النهاية» (٨٠/٥): «كان أعداء عثمان رضي الله عنه
يُسَمُّونه نعثلاً تشبيهاً بـرجلٍ من مصر، كان طويل اللحية اسمه:
نعثل، وقيل: النعثل: الشيخ الأحمق وذكر الضبَّاع».

﴿ ٥٦ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

« وَرُوي أَنَّ زعيمًا من زعماء أهل البدع كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: إِنَّ عِلْمَ الشافعيّ وأبي حنيفة جُمْلته لا يخرج من سراويل امرأة » فعلق عليه قائلًا: « هذا كلامٌ هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله »^(١).

والطعن في ورثة الأنبياء يريد المروق من الدين،

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور]، ومتى وجدت أمة ترمي علماءها وصفوتها بالجهل والتقص فاعلم أنهم على باب فتنة وهلكة، وأي سعادة تدخل على أعداء الإسلام بمثل هذا الأذى والبهتان.

(١) « الاعتصام » للشاطبي (٢/٢٣٩).

هذا، وأهل السُّنة والجماعة لا يَنَازعون الحاكم الأمر ولا يَنزِعون عنه يداً إلا مع ظهور كُفْرِ بَوَاحٍ توفرت شروطُهُ وانتفت موانعُهُ، بل يَدعون له بالصَلاح والهداية، ويطيعونه في العُسر واليُسْر، والمنشط والمكره وفي المعروف دون المعصية، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ بَعْدِي أئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثَمَانِ إِنْسٍ، [قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ]: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَذْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ الْأَمِيرَ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»^(١)، وقال صَلَّى اللهُ

(١) أخرجه مسلم في «الإمارة» باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين

عند ظهور الفتن (٤٧٨٥)، والحاكم في «المستدرک» (٨٦٧٣)، =

﴿ ٥٨ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمره =

عليه وآله وسلّم: « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ »^(١).

ومن لوازم طاعتهم: متابعتهم في الصوم والفطر، والتضحية، فيصومُ بصيامهم في رمضان، ويفطر بفطرهم

= والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٠٨٤)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في «الأحكام» باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٦٧٢٥)، ومسلم في «الإمارة» باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٤٧٦٣)، وأبو داود في «الجهاد» باب في الطاعة (٢٦٢٦)، والترمذي في «الجهاد» باب ما جاء: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (١٧٠٧)، والنسائي في «البيعة» باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع (٤٢٠٦)، وابن ماجه في «الجهاد» باب: لا طاعة في معصية الله (٢٨٦٤)، وأحمد (٦٢٤٢)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

في شوال، ويضحّي بتضحيتهم في عيد الأضحى.

ومن لوازم طاعتهم أيضًا: عدم إهانتهم، وترك سبهم ولعنهم، والامتناع عن التشهير بعيوبهم لئلا يفتح باب التآليب عليهم وما يجرُّ ذلك من الفساد يعود على الناس بالشر المستطير.

بل أهل السنة والجماعة عُرِفوا بالصدق في مناصحة الحكّام والصدع بالحق بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، من غير تعنيف ولا غلظة ولا فظاظة، ولا تحريض على التكفير والتفجير ولا أسلوب الفجاجة وكلمات السوء والمنكر؛ لأن مناصحة أئمة المسلمين منافية للغل والغش كما أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ

﴿٦٠﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

لِوَلِيِّ الْأَمْرِ - وفي لفظ: طَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ^(١) - وَلِزُومِ
الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ^(٢).

إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَزْهَدُونَ فِي الْمَنَاصِبِ
وَالْوَلَايَاتِ، وَلَا يَطْمَحُونَ فِيهَا عِنْدَ الْحُكَّامِ مِنَ الدُّنْيَا

-
- (١) أخرجه أحمد (١٦٣١٢)، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الترمذي في «العلم» باب ما جاء في الحث على تبليغ
السمع (٢٦٥٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وابن ماجه
في «المقدمة» (٢٣٠)، وابن حبان (٦٨٠)، من حديث زيد بن
ثابت رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه في «المناسك» باب الخطبة يوم النحر
(٣٠٥٦)، والدارمي في «سننه» (٢٣٢)، والحاكم في «المستدرک»
(٢٩٤)، وأحمد (١٦٢٩٦)، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. قال
ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢١٧/١): «إسناده جيد»،
وصححه ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (٣٦٤/١)، والألباني
في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

❧ الإصْلَاحُ النَّفْسِيُّ لِلْفَرْدِ أَسَاسُ اسْتِقَامَتِهِ وَصَلَاحِ أُمَّتِهِ ❧ (٦١) ❧

والجاء، ولا يداهنونهم بدينهم، ولا يتاجرون بعلمهم،
ولا ينافقون غيرهم، ويعلمون أنَّ «مَنْ أَتَى السُّلْطَانَ
افْتِنَ»^(١)، سالكين معهم منهجَ الإسلامِ في الاعتدال
والتوسط في الحبِّ والبُغْضِ في الله من غير إفراطٍ ولا
تفريطٍ. وهم يفرِّقون بين النظام الذي تتبنَّى فيه الدولةُ
الإسلامَ وتحكم به، وبين من تتنكر له وتتحاكم إلى غيره،
لذلك لا يتسابقون إلى مقاعد البرلمان، ولا يزاحمون غيرهم

(١) أخرجه أبو داود في «الصيد» باب في أتباع الصيد (٢٨٥٩)،
والترمذي في «الفتن» (٢٢٥٦)، والنسائي في «الصيد» باب في
أتباع الصيد (٤٣٠٩)، وأحمد (٣٣٥٢)، والبيهقي في «السنن
الكبرى» (٢٠٨٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٣٠)، من
حديث ابن عباس رضي الله عنه. والحديث صحَّحه الألباني في «صحيح
الجامع» (٦٢٩٦).

﴿٦٢﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

على المجالس النيابية لعلمهم بأنها اعتداءً على حق الله تعالى في الحكم، فيمنعون أنفسهم أن يكونوا مطيعةً للقوانين الوضعية، وسبيلاً إلى تشريكها مع حكم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٦﴾
[سورة الكهف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾
[الأنعام: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَعُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

كما لا يتخذون الحزبية المتناحرة والمتصارعة التي يعقدون عليها الولاء والبراء ليصلوا بها إلى الحق بالباطل، وفاقاً لنظريات فكرية غريبة، فأهل البدع والأهواء أسرع الناس تطبيقاً لهذه القاعدة الميكافيلية «الغاية تبرر

❧ الإصْلَاحُ النَّفْسِيُّ لِلْفَرْدِ أَسَاسُ اسْتِقَامَتِهِ وَصَلَاحِ أُمَّتِهِ ❧ (٦٣) ❧

الوسيلة»، لذلك كانت المطالبُ الدنيويَّةُ حكرًا عليهم،
يداهنون الحكَّام ويمدحونهم على ما هم عليه من الباطل،
ويزيّنونه لهم، ويتاجرون بعلمهم، ويشاركونهم في كلِّ
ما نهى الله عنه وزجر: من بناء القبور، وتشيد الأضرحة
للعكوف عندها والذبح لها، والاحتفال بالمواسم البدعية،
وتسهيل الدعوات التنصيرية، وفتح مجالات الرِّبا ويسمُّونه
بغير اسمه، ومجالات الزَّنا والحَنَّا والفسوق والفجور وكلِّ
ما يضادُّ شريعة الإسلام وأحكامه بدعوى مسايرة الغرب
في أخلاقه وتقَدُّمه؟! وينسبون كلَّ البلايا والرزايا لأهل
الحقِّ والإيمان والسُّنَّة: من سفك دماء المسلمين، واغتصاب
أموالهم، وهتك أعراضهم، ثمَّ يضيّقون عليهم مجالات
الدعوة: من مساجد ومراكز وقاعات وغيرها، ويعدُّون

ذلك انتصاراً مؤزراً وفتحاً مبيناً، ويؤلبون الحاكم وأعوانه عليهم، ويظنُّ بعضهم أنه لو طرد خطيباً سلفياً من مسجد أنه استردَّ بذلك المسجد الأقصى من أيدي اليهود، ويجادل قَرَأُوهم ومُفَكِّرُوهم ومثَقِّفُوهم في مسائل معلومة من الدين بالباطل ليُدحضوا به الحقَّ، ليس لهم علمٌ ولا تقوى ولا رسوخٌ قَدَمٍ في مواطنِ الشُّبه، واتَّخَذُوا المناصبَ وطريقَ التعيينِ الإداريِّ - في الإمامة والفتوى - دليلاً على العلم وسبيلاً إلى صدِّ الناس عن دعوة الحقِّ، وصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا يَقُولُ: «وَلَكِنْ يُقْبَضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١)،

(١) أخرجه البخاري في «العلم» باب كيف يقبض العلم (١٠٠)، =

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته **٦٥**

وفي مضمون دلالة هذا الحديث يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسْتُمْ فِتْنَةً يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرُبُّ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ؟ قِيلَ: مَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: إِذَا كَثُرَتْ قُرَآؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمْنَاؤُكُمْ، وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ»^(١).

= ومسلم في «العلم» باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٦٧٩٦)، والترمذي في «العلم» باب ما جاء في ذهاب العلم (٢٦٥٢)، وابن ماجه في «المقدمة» باب اجتناب الرأي والقياس (٥٢)، والدارمي في «سننه» (٢٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٧١)، وأحمد (٦٤٧٥)، من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٨٦٢٠)، والدارمي في «سننه» =

قال الشاعر:

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ * إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ

= (١٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٩٤٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٥١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا. قال الألباني في «تحريم آلات الطرب» (١٦): «وهو موقوف في حكم المرفوع؛ لأنه من أمور الغيب التي لا تُدرك بالرأي ولا سيما وقد وقع كل ما فيه من التنبؤات»، وصححه في «صحيح الترغيب» (١١١). وقد ورد مرفوعًا ولكنه لا يصح بلفظ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْقُرَاءُ، وَتَقِلُّ الْفُقَهَاءُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ رِجَالٌ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ زَمَانٌ يُجَادِلُ الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ بِاللَّهِ الْمُؤْمِنَ بِمِثْلِ مَا يَقُولُ»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٤٦/١): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: ابن لهيعة، وهو ضعيف»، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٩١/٨).

❧ الإصْلَاحُ النَّفْسِيُّ لِلْفَرْدِ أَسَاسُ اسْتِقَامَتِهِ وَصَلَاحِ أُمَّتِهِ ❧ (٦٧) ❧

فالمفكِّرون وأربابُ الثقافة معدودون من جمهور المسلمين وعوامِّهم، بل هم أشبهُ بأهل الكلام الذين ليس لهم من العلم إلَّا عباراتٌ وشقائق المسائلِ وتفريعاتُها، فيظنُّهم الجاهلُ علماء وما هم بعلماء، إذ معرفة شقائق المسائل لا تعكس حقيقة العلم وليس دليلاً عليه. وقد قال مالكٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الحكمة والعلم نورٌ يهدي به الله مَنْ يشاء وليس بكثرة المسائل»^(١)، وذكر ابنُ عبد البر: «إجماع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أنَّ أهل الكلام أهلُ بدعٍ وزيف، ولا يُعَدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والفقه، ويتفاضلون

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» باب قوله ﷺ:

«لَا حَسَدَ إِلَّا...»: (١/٨٣).

فيه بالإتقان والميز والفهم»^(١).

فهل طرأ على السمع ذكرٌ - في دولة لا تتبنى الإسلام
كنظام حكمٍ - أن اعتلى أهل السنة من السلفيين أعلى
المناصب في الرئاسة والوزارات أو سَعَوْا إلى توليها في
دولة من الدول الإسلامية؟! كلاً؛ وإنما هي حكرٌ على
غيرهم منذ زمنٍ بعيدٍ ولا يزالون... والله المستعان.

أمّا من شدّ من أهل السنة فداهن حاكماً بباطلٍ، أو
مدحه على معصية بنفاقٍ، فإنه لا يُمثّل فيه سوى نفسه،
وأهل السنة برآء من شذوذه ومخالفته للحقّ والدين،
فلا يقبلون صنيعة ولا يرضون سلوكه، ومع ذلك
يتعقبونه بالنصح والتذكير حتى يتبين خطؤه، ثمّ الهجر

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٢).

❧ الإصْلَاحُ النَّفْسِيُّ لِلْفَرْدِ أَسَاسُ اسْتِقَامَتِهِ وَصَلَاحِ أُمَّتِهِ ❧ (٦٩) ❧

والتحذير إذا أصرَّ على بدعته أو معصيته وأعلن عنها وجاهر بها؛ لأنَّ الهجر عقوبةٌ وتأديبٌ، وظهور العقوبة متعلِّقٌ بظهور المعصية. وهجرُ المُجاهر بمعصيته هو هجرٌ للسيِّئات وما تُهي عنه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ»^(١)، ولا يخفى أنَّ الهجر يخضعُ لضوابطٍ شرعيةٍ تُراعى قبل الإقدام عليه ليكونَ وَسَطًا بين الإفراط والتفريط، لاندارج مسألة الهجر تحت أصلٍ عظيمٍ وهو: «الولاء والبراء»: يُعَادَى

(١) أخرجه ابن حَبَّان في «صحيحه» (١٩٦)، وعبد بن مُحمَّد في «مسنده» (٣٣٨)، والعدني في «الإيمان» (٢٦)، وابن منده في «الإيمان» (٣١٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٤٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وصحَّحه الألباني في تحقيق كتاب «الإيمان» لابن تيمية (٣).

﴿ ٧٠ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

المبتدع ويُبغض بحسب ما معه من البدعة والمعصية إذا كانت بدعته غير مكفرة، ويؤالي ويحبُّ على ما معه من الإيمان والتقوى، ولا يجوز أن يُعادى من كلِّ وجهٍ كالكافر.

هذا، ومن السُّنة توقيُّر العلماء وتقديرهم واحترامهم، وأنهم بشرٌ يخطئون، والواجبُ على المسلم أن يضع ثقته فيهم، ويصونَ لسانه عن تجريحهم أو ذمهم، فإنَّ ذلك يُفقدُهم الهيبةَ ويجعلُهم محلَّ تهمةٍ، وإذا كان الواجب على المسلم أن يتعامل مع الناس بالإحسان مصداقًا لقوله

تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله

تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل:

٩٠]، فيعترف بحقوقهم، ويكفُّ الأذى عنهم بعدم

ارتكاب ما يضرُّهم أو فعل ما يؤذيهم، فإنَّ أهل العلم

٧١

الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته
والإيمان أولى بالبر وإيصال الخير لهم، وكف الأذى عنهم
والدعاء والاستغفار لهم، وإنفاذ عهدهم فإن ذلك من
الإحسان، والإحسان جزء من عقيدة المسلم وشيخ
كبير من إسلامه.

قال الشاعر:

عَوِّذْ لِسَانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَحْظَ بِهِ
إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ
فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ^(١)

وعلى المرء أن يتبصر في شؤون دينه ودنياه، ورحم
الله امرءاً عرّف قدره، ووقف فيما استشكل عليه عند

(١) «أدب الدنيا والدين» للهاوردي (٢٦٣).

﴿ ٧٢ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

حدود مستواه، وقيمة كل امرئ ما يحسن، ومن حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله
على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين،
وسلم تسليمًا.

الجزائر في: ٥ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ

الموافق ل: ٢١ ماي ٢٠٠٧ م



الفهرس

الصفحة

الموضوع

٧ * مقدمة

الإصلاح النفسي للفرد
أساس استقامته وصلاح أمته

١٣ * حاجة الأمة إلى انضواء أفرادها تحت لوائها

١٣ ♦ مناهل صلاح الأمة بصلاح أبنائها

١٤ ♦ مقومات الجيل الأول وصفاته

١٧ * عناية الإسلام بالعنصر النفسي للفرد

♦ الإصلاح النفسي للفرد هو الدعامة الأولى لاستقامته

١٧ وسعاده في الدارين

﴿ ٧٤ ﴾ = الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته وصلاح أمته =

♦ نفس الفرد مركبة من شق فطري إيجابي أصيل ١٧

♦ شق سلبي عارض ١٩

♦ ارتباط مصير الإنسان في دنياه وآخرته برجحان أحد الشقين ٢٠

♦ المقصود من إرسال الرسل ٢١

♦ توحيد الله تعالى هو أصل الدين وركن الأعمال وشرط

التمكين ٢٣

✽ ميدان دعوة المصلحين ٢٤

♦ ميدان الإصلاح يدعو القائمين به إلى تطهير الفطرة ٢٤

♦ ميدان الإصلاح ينادي أصحابه إلى ربط النفوس بشريعة الله .. ٢٥

♦ ميدان الإصلاح يتطلب أن يكون القائمون عليه على بصيرة

بالمجال الدعوي (علم دقيق بالشرع ومقاصده العليا، الابتعاد

عن الجفوة والغلظة، والرفق في الأسلوب، والتنزه عن

الأغراض الدنيئة، والتوكل على الله والتحلي بالصبر) ٢٥

♦ الانشغال بالدنيا والتلهي عن الآخرة أول طريق الضياع ٢٦

- ♦ كلامٌ نفيس للشيخ عبد الحميد بن باديس ٢٨
- ♦ (العناية الشرعية متوجّهة كلّها إلى إصلاح النفوس) ٢٨
- ♦ (تكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل، وشرع الشرائع) ٢٩

نقد وتوضيح

في تحديد أهل الإصلاح وسبب تفرق الأمة

*** وجه الانتقاد:**

- إنَّ نصَّ مقالة «الإصلاح النفسي للفرد أساس استقامته
وصلاح أمته» مبنيٌّ - في رأي المتقدِّد - على النظرية الغشتالتية
الألمانية، وهي غير مناسبة في قضية إصلاح الأمة؛ لأنَّ
المصلحين غير مؤهلين للإصلاح..... ٣٥

* من قواعد أهل السنة وخصائص منهجهم:

- الاستدلال بالكتاب والسنة والاسترشاد بفهم السلف الصالح ٣٧
- مصدر التلقّي عند أهل الأهواء هو العقل الذي أفسدته

تُرَّهات الفلاسفة، وخزعبلات المناطقة وتمحُّلات المتكلِّمين... ٣٨

• وسيلة الدعوة توقيفيةٌ ووجوب موافقتها للنصوص

الشرعية العامة أو الخاصة أو لقواعد شرعية كلية..... ٤٠

• سبيل المؤمنين هو الالتزام بالكتاب والسنة من غير تقديم

عليهما والعمل بهما والدعوة إليهما..... ٤٢

• الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي التمسك بالشرعية

اعتقادًا وقولًا وعملاً..... ٤٣

• ليس في الشريعة لبٌ وقشورٌ، فكلُّ ما جاء به الوحي حقٌّ

وكلُّه لباب..... ٤٤

• أهل السنة غير مختلفين، أمأهم وآلامهم واحدة..... ٤٥

• مبنى التضامن لا يتم إلَّا بعقيدة التوحيد..... ٤٦

• مصير الأمة بيد الله وهو الكفيل به إذا تحقَّق التغيير في

الأنفس..... ٤٦

• الإصلاح لنفسية الأفراد بالتخلية والتحلية..... ٤٩

• لفظة «الوهابية» من إطلاق خصوم دعوة الحق ٤٩

• دعوة آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية قائمة

على تجريد التوحيد من الشراكيات، نبذ جميع السبل إلا

سبيل محمد ﷺ ٤٩ - ٥٠

• استصغار أهل السنة والتنقص من قدرهم هو سنة المبطلين ٥٣

• الطعن في ورثة الأنبياء بريد المروق من الدين ٥٦

• أهل السنة لا ينازعون الحاكم الأمر ولا ينزعون عنه يداً ٥٧

• من لوازم طاعة ولادة الأمر ٥٨

• أهل السنة عرفوا بالصدق في مناصحة الحكام ٥٩

• سلوك أهل السنة مع الحكام منهج الاعتدال والتوسط في

الحب والبغض في الله من غير إفراط ولا تفريط ٦١

• تفريق أهل السنة بين النظام الذي تبني فيه الدولة الإسلام

وتحكم به، وبين من تنكر له وتحاكم إلى غيره ٦١

• أهل السنة لا يتخذون الحزبية المتناحرة التي يعقدون عليها

«الولاء والبراء» سبيلاً ليصلوا بها إلى الحقّ بالباطل..... ٦٢

• عادة أهل الأهواء نسبة كلّ البلايا والرزايا إلى أهل

الإيمان والحقّ..... ٦٣

• طرق التعيين الإداري في مناصب الإفتاء والإمامة ليس

دليلاً على العلم، ومعرفة شقائق المسائل لا تعكس حقيقته... ٦٤

• أهل السنة برآء من الشذوذ في الدين ومخالفة الحقّ..... ٦٨

• وجه التعامل مع من شذّ من أهل السنة..... ٦٨

• من حقوق أهل العلم والواجبات أنّجاهم..... ٧٠

• نصيحة إلى المتقد..... ٧١

* الفهرس..... ٧٣



صدر للمؤلف

سلسلة توجيهات سلفية

بين يديك الأسرة الأولى وأسسها هيلم

لفضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد المعز محمد علي فركوس

أستاذ بظية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

طبعة جديدة منقحة ومزودة



صدر للمؤلف

سلسلة توجيهات سلفية

الصِّبْرَاطُ فِي تَوْضِيحِ حِكَايَاتِ الْأَخْتِلَاطِ

ومعه روود وتعيّبات على تليّسات وتمويهات

لفضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد المَعْرِضِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ فَرْكَوْسَ
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

العدد
١١

صدر من سلسلة «توجيهات سلفية»

- ١ المنطق الأرسطي
وأثر اختلاطه بالعلوم الشرعية
- ٢ شرك النصاري
وأثره على آفة الإسلام
- ٣ تربية الأولاد
وأسس تاهيلهم
- ٤ العلمانية
حقيقتها وخطورتها
- ٥ نصيحة إلى طبيب مسلم
ضمن ضوابط شرعية يلتزم بها في عيادته
- ٦ الإخلاص
بركة العلم وسر التوفيق
- ٧ الإصلاح النفسي للفرد
أساس استقامته وصلاح أئمة
- ٨ منح أهل السنة والجماعة
في الحكم بالتكفير بين الإفراط والتفريط
- ٩ حكم الاحتفال بمولد خير الأنام
عليه الصلاة والسلام
- ١٠ دعوى نسبة التشبيه والتجسيم
لأين ثومية وبراهنه من ترويع المعرضين لها
- ١١ الصراط في توضيح
حالات الاختلاف
- ١٢ توجيه الاستدلال بالنصوص الشرعية
على العذر بالجهل في المسائل العقدية
- ١٣ الجواب الصحيح في إبطال شبهات
عن أجاز الصلاة في مسجد فيه ضريح
- ١٤ تحري السداد
في حكم القيام للعبادة والجماعة
- ١٥ منصب الإمامة الكبرى
أحكام وضوابط



دار الموقع

www.ferkous.com
edition@ferkous.com